

تشرح حديث

أتق الله حيثما كنت

لفضيلة الشيخ الوالد:

عبيد بن عبد الله الجابري

حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه وخاتم رسله وأنبياءه، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين-.

أما بعد:

فيسرنا في هذه الليلة المباركة الطيبة-ليلة الثلاثاء-الخامس عشر من شهر جمادى الأولى لعام اثنين وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة النبي-صلى الله عليه وسلم-، أن يكون معنا عبر الهاتف، ومن مدينة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فضيلة شيخنا الوالد: الشيخ عبيد بن عبد الله الجابري-حفظه الله-ومتعنا بحياته، في محاضرة بعنوان: (شرح حديث: اتق الله حيثما كنت)، وذلك ضمن اللقاءات السلفية القطرية، والتي تبث إليكم أسبوعياً من دولة قطر-حرسها الله-وجميع ديار المسلمين.

ويسرنا أن نرحب بالإخوة والأخوات الذين يستمعون إلى هذا البث الحي والمباشر عبر شبكتنا الحبيبة (شبكة سحاب السلفية)، منار الدعوة السلفية على الشبكة العنكبوتية، والتي تميزت وتزينت بكتابات رائعة وأقلام سلفية صافية تبين الحق وتدافع عن عرين السنة.

ونشكر لفضيلة شيخنا إتاحة هذه الفرصة، وتفريغ جزء من وقته الثمين
لصالح إفادة أبنائه وطلابه في دولة قطر بهذه المحاضرة وأمثالها.

ونسأل الله-عز وجل-بأسمائه الحسنى، وصفاته العلاء، أن يرفع قدر شيخنا،
وأن يجري الحق على لسانه، وأن ينفعنا جميعاً بما نسمع، إنه ولي ذلك والقادر عليه،
فليتفضل الشيخ مشكوراً مأجوراً.

فضيلة الشيخ الوالد عبيد بن عبد الله الجابري: السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ﷺ ... الَّذِينَ أَرْسَلَ رَسُولُهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴿الفتح﴾، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله-صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وسلم-تسليماً مزيداً.

أما بعد:

فمعاشر من يستمع إلينا من خلال اللقاءات القطرية السلفية: أرحب
بكم هذه الليلة، وأتحدث إليكم حديثاً أسأل الله أن ينفعني وإياكم به، وهذا الحديث
من جوامع الكلم التي أعطيها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وفُضِّلَ بها، والحديث
جاء مروياً عن معاذ ومروياً عن أبي ذر-رضي الله عنهما-.

قال-صلى الله عليه وسلم-: ﴿اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ
تَمَحُّهَا، وَخَالَقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ﴾^١، هذه ثلاثة أوامر، من تأملها بفطنة وتدبر
وجميل انقياد ظهر له أنها: تحصل للعبد الدعوة إلى حق الله، والدعوة إلى حق
النفس، والدعوة إلى حق عباد الله.

^١ (سنن الترمذي/ت شاكر/ باب: ما جاء في معاشره الناس/ج4/ص355، سنن الدارمي/ باب: في حسن

الخلق/ ج3/ص1837،

الوصية الأولى: ﴿اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ﴾، والمعنى: لازم أيها المسلم تقوى الله حيث كانت وجهتك، في أي زمان ومكان، لازم تقوى الله، ولا بد هاهنا حيال التقوى من بيان أمور:

الأمر الأول: في معنى التقوى لغة: هي من التوقي، وهو اتخاذ المرء وقاية يتقي بها ما يكره ويحذر، ومنه: اتقاء شدة البرد بالملابس المتينة، واتقاء شدة الحر بما يستدعيه الحال من لبس الحذاء الواقعي، وطلب الظل، إلى غير ذلك مما يجعله يتقي هذا الحر الشديد اتقاءً كاملاً أو بعضاً، والمقصود أنه أعني: المرء، يجتهد في أن لا يضره شدة الحر وشدة البرد.

وأما معنى التقوى في الشرع: ففيه عبارتان:

إحدهما: هو التحرز بطاعة الله من معصيته التي هي سبيل عقابه.

والعبارة الثانية: وهي أجمع منها، هي عبارة طلق بن حبيب-رحمه الله-قال: (التقوى: أن تعمل من طاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تدع معصية الله على نور من الله تحشى عقاب الله).

فهذا المعنى ينبهك أيها الناصح لنفسه، والحازم في أمره إلى أن غاية التقوى هي: الفقه في دين الله حتى يعلم المرء ما هو حلال فيحله وما هو حرام فيحرمه، وإن شئت فقل: حتى يعلم على بصيرة ما هو محبوب لله-سبحانه وتعالى-مرضياً له فيعمله استجابة لله ولرسوله-صلى الله عليه وسلم-وامتثالاً، وطلباً للقربى والزلفى عند الله-عز

وجل-، وكذلك يعلم علم فقه وبصيرة ما هو من مغاضب الله ومساخطه فيتجنبه
ويبتعد منه امتثالاً وتقرباً إلى الله.

الأمر الثالث في مراتب التقوى: حاصل ما دل عليه الكتاب والسنة وعلى
فهم السلف الصالح أن مراتب التقوى ثلاث:

إحداها: فعل المأمورات.

والثانية: ترك المحذورات، ويقال: المحظورات وهي: المحرمات والمنكرات.

والثالثة: اتقاء الشبهات التي ألبس على المرء حالها، فلم يستبن له أهى من
الحلال أو الحرام.

وقد جاءت هذه المراتب إشارة في حديث النعمان بن بشير-رضي الله عنهما-
، وهو مخرج في الصحيحين: ﴿عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ،
وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ
اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ﴾².

فقوله-صلى الله عليه وسلم:-

﴿إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ﴾: شاه — د فع — ل المأمورات.

﴿وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ﴾: شاهد لترك المحذورات وتجنبها.

² (صحيح مسلم/ ج 3 / ص 1219 / باب: أخذ الحلال وترك الحرام)

وقوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا...﴾ إلى آخره: تحذير من الشبهات التي من قارفها ولم يتجنبها وقع في الحرام.

الأمر الرابع: ما المراد بالتقوى؟.

أقول: كرر الله- سبحانه وتعالى- أمر عباده بالتقوى، تارة بخطاب الإيمان.

كقوله-تعالى:- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿الأحزاب﴾.

وقوله-تعالى:- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

لِعَدِّ وَاتَّقُوا اللَّهَ... ﴿١٨﴾﴾ ﴿الحشر﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

وتارة بخطاب الناس، ومن ذلكم قوله-تعالى:- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا

اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ ﴿النساء﴾.

فما المراد بهذه التقوى التي جاءت مأمورًا بها فيما لا يحصى من آي الترتيل

الكريم؟.

التقوى: هي عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، وأنه- سبحانه وتعالى- هو

المعبود بحق ولا معبود بحق سواه.

قال-تعالى:- ﴿...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ

أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ... ﴿١٣١﴾ ﴿النساء﴾، فالآية فيها صراحة أن هذه الأمة ومن سبقها من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى كلهم موصون بتقوى الله.

وهذا مجمل جاء إيضاحه وبيانه في آيات أخر ومنها:

قوله-تعالى:- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ

وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... ﴿٣٦﴾ ﴿النحل﴾.

وقوله-تعالى:- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴿الأنبياء﴾.

فهاتان الآيتان وما في معناهما من آي التنزيل الكريم، وهو أشهر من أن يذكر، وأكثر من أن يحصر، دليل على أن أصل دين الإسلام وأساسه أمران:

الأمر الأول: هو الأمر بعبادة الله وحده والتحريض على ذلك، والموالاتة فيه، وتكفير من تركه.

والثاني: هو الإنذار من الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

هذا هو ما اتفق عليه النبيون والمرسلون من لدن نوح أولهم إلى محمد خاتمهم- صلى الله وسلم عليهم أجمعين-، ومن أجله أقيم الجهاد ورفعت رايته، وأقيم سوق

الجنة والنار، فكان الناس فريقاً في الجنة وفريقاً السعير، فمن استجاب لله ولرسله- عليهم الصلاة والسلام- فهو من أهل الجنة، ومن استكف عن ذلك وأخذته العزة بالإثم ولم يستجب لله ولا لرسله فهذا هو فريق النار.

وبهذا يجب على دعاة الحق والبصيرة الاهتمام بأمر التوحيد، وحض الناس عليه، وأن الله لا يقبل عبادة دونه، وأنه هو السبيل الأعظم لدخول الجنة، والتحذير من الشرك وأنه محبط للعمل، فلا يقبل الله عملاً مع شرك.

أخرج مسلم من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: ﴿يَقُولُ اللَّهُ-تَعَالَى-: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ﴾³، وفي رواية الترمذي: ﴿...فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ كُلُّهُ لِلَّذِي أَشْرَكَ﴾.

وما من داعية حق وبصيرة إلا وهذا ديدنه في الدعوة إلى الله غير عابئ بمن خالفه، لموعد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ﴾⁴.

وما أحسن ما قاله الفضيل بن عياض-رحمه الله-: (عليك بطرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين).

³ (صحيح مسلم/ باب: من أشرك في عمله غير الله/ ج4/ ص2289)

⁴ (صحيح مسلم/ ج3/ ص1523)

الأمر الثاني: ويتضمن الوصية الثانية، ﴿...وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا...﴾، والمعنى: أمر المرء المسلم حالما يقترب إثماً، أو يخطئ خطيئة أن يتبعها بحسنة، وهذه الحسنة تمحو تلك السيئة، وها هنا لا بد من بيان أمرين:

الأمر الأول: أن السيئات على ضربين:

كبائر مثل: الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والعقوق، وقطيعة الرحم، فهذه كبائر، وحدث الكبائر كما ذكره غير واحد من أهل العلم: (هو كل ذنب ترتب عليه حد في الدنيا أو تعزير، أو توعده به بغضب أو لعن أو نار في الآخرة).

والصغائر ما دون ذلك: كالنظرة المحرمة، ومصافحة المرأة الأجنبية من قبل رجل أجنبي ليس زوجاً ولا محرماً.

فالكبائر لا بد فيها من التوبة-التوبة النصوح-فهي الحسنة هنا، وأما الصغائر فيكفرها صالح الأعمال، من ذلكم قوله-صلى الله عليه وسلم-: ﴿مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحَضَّرَهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ﴾⁵.

⁵ (صحيح مسلم/ باب: فضل الوضوء والصلاة.../ ج1/ ص206)

وبهذا تعلمون: أن تكفير الصغائر مشروط باجتناّب الكبائر، يوضحه قوله-

تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾

﴿النساء﴾ (٣١)

والمقصود: أن نبينا-صلى الله عليه وسلم-أوصانا بأن نجاهد أنفسنا على فعل

محاب الله-سبحانه وتعالى-ومراضيه، ومجانبة مغاضبه ومساخطه.

فالأول: من سبل الجنة وأعظمه التوحيد.

والثاني: من سبل النار وأعظمه الشرك بالله-عز وجل-.

الوصية الثالثة: ﴿...وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ﴾ هذه المعاملة، يقولون:

(الإنسان مدني بطبعه) يعني: أنه يألف ويؤلف، فلا بد له من تبادل المصالح والمنافع

مع بني جنسه، وهذا لا بد له من شيء يسوسهم به، ويقربه إليهم ويقربهم إليه.

وإلى هذا الإشارة بقوله-صلى الله عليه وسلم-: ﴿الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُّجَنَّدَةٌ فَمَا

تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ﴾⁶.

⁶ (صحيح مسلم/ باب: الأرواح جنود مجنّدة/ ج4/ ص2031)

بقي ما قاعدة الخلق الحسن أو المخالفة الحسنة؟.

ومنها: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وإنجاز الوعد، والوفاء بالعهد، وحسن الجوار، والبر والصلة، وطيب الكلام، ورد السلام، وغير ذلك مما هو معروف عند أهل الإسلام.

قاعدة هذا: قوله-صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ﴾⁷.

هذه الجملة هي: قاعدة المخالفة الحسنة مع بني جنسك يا عبد الله، سواءً كانوا مسلمين أو كانوا من الكفار، حتى الكفار نحن مأمورون بأن لا نتعدى على أموالهم، ولا على أعراضهم، ولا على نفوسهم، سواءً كانوا مقيمين بيننا أو كنا مقيمين بينهم، لأنهم في كلتا الحالتين بيننا وبينهم عهد.

فالحال الأولي: بيننا وبينهم عهد أئمتنا وولاة أمورنا فعم معصومون بعهد الإسلام، وأما من كنا مقيمين بينهم فهؤلاء قد ائتمنونا، ووثقوا منا، وينظرون إلى محاسن ديننا كيف نعاملهم بها.

وقد كان كثير من البلدان دخل أهلها في الإسلام لَمَّا رأوا من محاسن الإسلام وحسن تعامل أهلهم معهم دخلوا في الإسلام أفواجًا، رأوا في أهل الإسلام العدل،

⁷ (صحيح مسلم/ ج3/ ص1472)

والأمانة، وحفظ العهد، وحسن الجوار، وصدق الحديث، وغير ذلك من محاسن
الإسلام، نعم ﴿وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنٍ﴾.

هذا ما يسر الله- سبحانه وتعالى- وأرجوا أن تعذروني إذ اختصرت الكلمة
لأنني والله الحمد أتعرض لزام، ولعلكم سمعتم مني بعض السعال، لكن ما عليكم
خوف ما يعديكم إن شاء الله لا تخافوا.

أستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قام بتفريغه:

أبو عبادة منجد بن فضل الحداد

الاثنين الموافق:

22/ جمادى الأولى / 1432 للهجرة النبوية الشريفة